مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

خصائص انسجام الخطاب عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من خلال خطبة جامع كتشاوة

Characteristics of the coherence of Sheikh Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi's speech, Through the sermon of the Mosque of Katchawa

العلواني إدريس[1] ، بن يحيى يحيى[2]

1- كلية الآداب واللغات، جامعة غرداية elalouani.idris@univ-ghardaia.dz

2- كلية الآداب واللغات، جامعة غرداية y.benyahia47@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/01/21 تاريخ القبول: 2021/03/21

ملخص:

قمنا في هذه المقالة بتحليل الخطبة التي ألقاها الشيخ البشير الإبراهيمي في مسجد كتشاوة بمناسبة أول صلاة جمعة فيه بعد الاستقلال تحليلا لغويا إحصائيا على ضوء شخصية الإبراهيمي الأدبية واللغوية ومنزلته كعالم ديني ومرب. وقد انتهينا إلى رصد عدة خصائص انسجامية وتركيبية ولفظية على عدة مستويات نصية، حيث يتمحور النص حول بؤرة البعد الديني" المسجد" والبعد الـوطني "الجزائر"، وثنائيتي "الأمس واليوم" و "الاستعمار والجزائريين"، ويستغرق أكبر قدر ممكن من المعاني العميقة والعبر التي توحي بها المناسبة في تداع طبيعي سلس للأفكار التي تشد أزرها نسبة عالية من الأدوات الاتساقية، وذلك في إطار سياق قناعات الإبراهيمي، وفي إطار موقف تداولي، ولغة أقرب إلى

المؤلف المرسل: العلواني إدريس: idriswani47@mail.com

الوظيفة الإعلامية الإرشادية، مع توفر معارف خلفية ملائمة، ورؤية سُننية و تاريخية متماسكة.

الكلمات الدالة:

النص، الانسجام، الاتساق، الخطبة، الإبراهيمي

Abstract:

In this article, I analyze the sermon said by Sheikh al-Bashir al-Ibrahimi at the Ketchawa Mosque, on the occasion of the first Friday prayer after independence. i analyze this speech linguistically and statistically in the light of Brahimi's literary and linguistic personality, and his status as a religious scholar and educational guide. I have noticed several structural and verbal characteristics on several textual levels, where the text is centered around the religious dimension "mosque" and the national dimension, "Algeria", and the two Binary: "yesterday / today" and "colonialism / Algerians". the text takes as many deep meanings as possible, and Lessons are inspired by the text story, in a natural flow of ideas that reinforced by A large number of tools of cohesion within the context of Brahimi's convictions, and a pragmatic position, and language closer to the indicative information function, and appropriate background knowledge, And a coherent historical vision.

Key words:

text, coherence, cohesion, speech, al-Ibrahimi

مقدمة :

الخَطابة هي فن كلامي قديمٌ يقوم على مشافهة الجمهور والاتصال به للتأثير عليه واستمالته، فهي تتعامل مع العقل و العاطفة، مع تركيزها على العاطفة بصورة أكبر، والخطبة كما جاء في البرهان اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، (إسحاق بن إبراهيم،1967: 193)، و يعتبر فن الخطابة من أبرز الفنون القولية تعبيرا عن أحوال المجتمع الوجدانية والسياسية والاجتماعية والدينية والفكرية من الأمور الجليلة، وإنما سُميت الخطبة خطبة لأنه يُقام بها في الأمور والخطوب التي تجِلُّ وتعظمُ ؛ وقد رافقت الخطابةُ كما يشير الدكتور محمد مصايف مرحلة الكفاح السياسي والعسكري التحرري في الجزائر ضمن نهضة أدبية متميزة من ظهور جمعية العلماء المسلمين إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى (1931 -1954 م)، ثم استمرت إلى ما بعد الاستقلال بدور مختلف يتمثل في العمل الاجتماعي والسياسي والتوعوي، حيث انخرط الأدباء في النضال مع الطبقة المحرومة في سبيل تطوير المجتمع الجزائري الحديث (محمد مصايف، 1983: 102 -103). وقد مثلت الخطابةُ أداةً فعالة في يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة مقاصد الدعوة الإصلاحية حيث كانت أكثرَ الأنواع الأدبية التزاماً بقضايا الأمة وارتباطا بمصيرها.

ويعتبرُ الشيخ محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي (1889 - 1965م) كما يؤكد الدكتور عبد الله ركيبي علماً بارزا من أعلام البلاغة والأدب في الثقافة الجزائرية وأحدَ أشهرِ الكتاب الجزائريين المعاصرين الذين وظفوا مواهبهم الخطابية في مواجهة ظلم الاستعمار الفرنسي ونقض شبهاته ودعوة المجتمع الجزائري إلى النهوض واليقظة من خلال الخطب الجُمَعية وبعض المواقف الارتجالية والمناسبات المختلفة" (عبد الله الركيبي، 1978: 12) والتي نُشِرت في جرائد جمعية العلماء المسلمين كالشهاب والبصائر وغيرها أو وجدت في أوراقه؛

لذلك، ومساهمة منا في إثراء اللسانيات العربية التي تعاني من إشكاليات عديدة تتعلق بالمصادر ومناهج البحث والمصطلحات والعلاقة بالتراث، فإننا نرى أنه من المناسب تسليط الضوء على تلك الخطب بالدراسة والتحليل من أجل الكشف عن بعض خصوصيات الخطاب الأدبي للإبراهيمي، وخاصة في جانب هام، وهو الانسجام النصي في إطار نظريات اللسانيات النصية ودراساتها التي لا تزال في بدايتها خاصة في العالم العربي.

وفي هذا الصدد سوف تكشفُ هذه المقالةُ عن بعض خصائص الانسجام النصي في خطب الإبراهيمي من خلال نموذج مستهدف، حيث نرسي أولاً الإطار العام للموضوع، ثم نستعرض تلك الخصائص بطريقة تحليلية وبمساعدة معطيات إحصائية، مع استعراض ومناقشة بعض الأمثلة من الجمل التي تثبت تميز الإبراهيمي في جانب هام من الاستعمال العقلاني للغة.

1. المفاهيم والإطار المنهجي

1.1. مفهوم الانسجام ومستوياته:

يمكن بداية تعريف النص كما جاء في معجم تحليل الخطاب أنه مقطوعةٌ متعددة السمات والأجناس مشكلةً تشكيلاً سويا من جمل مترابطة تتدرج نحو النهاية، وهي مقيدة بالمكتوب بالدرجة الأولى (باتريك شاروردو - دومينيك، 2006، 554). وقد لفتت الدراسات اللغوية الحديثة في إطار ما يسمى بـ"نحو النص"، أو علم النص"، أو"علم اللغة النصي"، أو"نظرية النص،" أو "اللسانيات النصية" Linguistique textuelle الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بالنص في مقابل الجملة كمجال يتيح وصف ودراسة الكيفية التي بمقتضاها تشكلُ سلسلةٌ من الجمل المتناغمة المتجددة المستمرة والمتدفقة نصًّا مُوحداً مُتلاحِماً بين الفقرات والأجزاء من بدايته إلى نهايته بما فيه من الروابط المتشابكة ضمن المستويات المختلفة: الصوتية، الصرفية، النحوية، المعجمية، الدلالية،

والتداولية، وصولا إلى النماذج الهيكلية والبنية الكبرى، وهو ما يُصطلح عليه بالحُبكة أو" الإنْسِجَامُ " La Cohérence، حيثُ إن التماسك النصي يبدأُ بالبنية الصغرى على مستوى علاقات الترابط الاتساقية بين المتتاليات الجملية والأبنية النحوية السطحية المحلية La Cohésion، ثم يتجاوزه بشكل آني سانكروني يمتد إلى مستوى البنية العميقة Structure profonde والبنية الكبرى Macrostructur باعتبارها المعنى النهائي للنص؛ فمحاولة الكشف عن مدى الانسجام في النص لا بد أن يمر عبر دراسة هذين المستويين: البنية الصغرى والبنية الكبرى

وتُسهمُ عملية تنميط النصوص وفق بُناها العليا والمقطعية (الأنواع، النماذج، الأجناس، وأنماط النصوص) إلى جانب مؤشرات نصية عديدة في الكشف عن مدى الانسجام في النصوص، وتعتبرُ الخطبةُ كما يعرفها الدكتور أحمد مطلوب من أهم تلك الأجناس الكتابية النثرية بما تتيحه للكاتب من وضوح في الأفكار، وتنوع في المواضيع، وسهولة في الأسلوب، مع الاعتماد على براهين وحجج مقنعة وما لطُف من السجع والتوازن في العبارات من دون إقحام و لا تكلف. (أحمد مطلوب، 2001، 221 -219)

1.2. ركائـز الانسجـام النصـي

يتشكل الانسجام في النص بالتفاعل والتكامل بين طرفين أساسيين هما: الكاتب و القارئ، وفق الخطاطة الآتية :

فإذا كان الانسجام يقوم على التكامل بين دوري الكاتب النموذجي والقارئ النموذجي فإن درجة الانسجام تتأثر بمدى البعد أو القرب من الكاتب والقارئ النموذجيين؛ وينتفي الانسجام تماما في حالتين، أولا: عند تدني الكاتب دون عتبة الحد الأدنى لشروط الصياغة الاتساقية اللفظية والتركيبية المحلية للنص، وكذا إخلاله بالآليات الرئيسة للتلاحم على مستوى البنية الكبرى، ثانيا: عند تدني القارئ دون عتبة الحد الأدنى من القدرة على الفهم والتأويل؛ وقد يحصل الخلل من الجانبين معا في آن واحد؛ أما النص في حد ذاته فهو وجه للطرفين.

وبالرغم من أهمية دور الكاتب والقارئ ومساهمتهما في تحقيق الانسجام في النص إلا أنه لا يمكننا أن نُخضع لعملية التقييم والتقويم غير النص المكتوب ذاته، باعتباره المنتوج الفعلي للكاتب والمدونة المتاحة للتحليل اللغوي، وكل ما يتم استنتاجه من طرف القارئ وحول الكاتب يتم انطلاقا من النص.

2. مـيـدان الـدراسـة

بناء على المفاهيم والعناصر التي ذكرناها حول الانسجام النصي؛ وبالاستفادة من علم اللغة الوصفي الذي يدرس اللغة دراسة علمية منهجية قمنا بتحليل نص نثري نموذجي يتمثل في خطبة ألقاها الشيخ الإبراهيمي في جامع كتشاوة بالجزائر العاصمة يوم الجمعة 02 نوفمبر 1962، وهي أوَّلُ خطبةٍ وصلاةِ جمعة صُلِّيَتْ في المسجد بعد إعادته إلى حظيرة الإسلام إثر غياب

دام قرنا وثلاثين سنة بحضور أركان الدولة ووفود غفيرة من مختلف الدول الإسلامية (ملاحظة: حذفت خمسة أسطر بداية الخطبة فيها حمد لله المنعم على عباده، انظر الخطبة في: أحمد طالب الإبراهيمي، 1997: 305).

وبالرغم من أن خطبة جامع كتشاوة لم تكن تمثل حدثا أدبيا بارزا مثلما كان الشيخ الإبراهيمي مشهورًا به في الأربعينات والخمسينات في مثل تلك المناسبات كما صرح بذلك نجلُه الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، (أحمد طالب الإبراهيمي، 1997: 305) إلا أن قيمتها لا تخفى كنص نثري تداولي من حيث ما تحمله من رمزية للزمان والمكان، ومن حيث كونُها حصيلةً لخبرة طويلة من العطاء اللغوي باعتبارها من أواخر ما ألف الشيخ في حياته؛ وعلى كل حال، فإن ذلك ليس مُبانا لطبيعة الخطبة، لأن قِوامَ المعاني الخطابية كما يقول القرطاجني « هو الإقناع لتقوية الظن لا التخييلُ وجودةُ التأليف وحسنُ المحاكاة الذي هو مجال الشعر؛ واستعمال التخييل في الأقاويل الخطابية سائغٌ إذا كان ذلك بالعرض على جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع » (حازم القرطاجني، 1966: 361/62)

ونقوم بتحليل خطبة جامع كتشاوة من أجل الكشف عن مدى انسجامها من حيث بعض علاقات الترابط والارتباط والخصائص اللفظية والتركيبية مستدلين بعدة مؤشرات تتمثل في أدوات وآليات الاتساق على مستوى البنية الصغرى والآليات التي تُسهم وتُسهِّل من إحكام النص على مستوى البنية الكبرى، ومستضيئين بالخصائص الفنية المعروفة في كتابات الإبراهيمي ومدرسته الأدبية، ونفحص تلك المؤشرات من خلال المستويات الآتية :

1. مستوى البنية الصغرى Microstructure المتمثلة في العلاقات المحلية الخطية المتدرجة السطحية والعميقة، والتي تعتمد على صفة التجدد والتدرج الدلالي Progression ، وصفة الاستمرارية الدلالية Continuité.

2. مستوى البنية الكبـرى Macrostructure، وهي البنية الشاملة الموحدة التي تلحم أجزاء النص
3. مستـوى سهـولة الـنص وقابـليتـه للانسـجـام easability texte (McNamara and Art Graesser, 2014: 96-112) وهي العناصر التي تساعد القارئ على مسايرة النص وتسهل عليه عملية التلقي

3. النتائج الإحصائية للتحليل

من خلال قراءتنا للخطبة وتحليلها وفق العناصر الانسجامية المذكورة سابقا على مستوى البنية الصغرى والبنية الكبرى والسهولة النصية تم التوصل إلى العناصر الانسجامية والإحصائية في الجدول رقم (1) التالي:

جدول1. العناصر الانسجامية وإحصاءاتها

	المستوى		العناصر
العناصر الانسجامية	مستوى البنية الكبرى	مؤشرات بعض الآليات الشاملة Mécanismes généraux	موضوع الخطاب
			بنية الخطاب
			السياق
			المعرفة الخلفية
	مستوى البنية الصغرى	مؤشرات الرابطية Connectivité (التحدد والتدرج)	الربط الاضافي والمنطقي
		مؤشرات الاتساق المرجعي référentielle cohésion (التواصل والاستمرار)	الإحالة
			التكرار
			التضاد
			التضام
	مستوى السهولة النصية	مؤشر الألفاظ	مألوفية الألفاظ
		مؤشر البنى التركيبية	البنى التركيبية
العناصر الإحصائية	العدد الكلي للكلمات : 1181		
	العدد الكلي للأسماء : 407		
	العدد الكلي للجمل : 172		
	العدد الكلي للتراكيب : 176		

وتنبغي الإشارة هنا إلى أن المؤشرات المعتمدة في هذه الدراسة تتعلق بالكشف عن مدى الانسجام الحاصل في النص بغض النظر عن طبيعته من حيث وظيفته اللغوية: شعرية أدبية، أو وظيفية مباشرة؛ لأن المعيار الأهم المعتمد في تقدير النصوص هو مدى حصول الإفهام لدى القارئ، وقد عرّف الجاحظ البيان بأنه: « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى .. لأن مدار الأمر

والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم و الإفهام. فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع » (عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، 2002: 11)

4. مناقشة النتائج

4.1. مستوى البنية الكبرى

4.1.1. موضوع الخطاب

ألقيت الخطبة في خضم حدث عظيم هو استعادة مسجد كتشاوة، وهو الحدث الذي يمثل مناسبة الخطبة، حيث اشتملت على استهلال استخلص فيه الإبراهيمي سنة الله في الأخذ والعطاء القائمة في عباده، و أعرب عن شدة الفرحة التي عمت الحاضرين بالمناسبة، ونوه بأهمية المكسب مصححا المقصد من الفرحة بالغنيمة، وحث الجزائريين على إحياء المسجد والعمل على بناء وتشييد الوطن، كما حذرهم من تشويه مكسب الحرية بالغرور وسوء التدبير؛ ودعا للجزائر بالازدهار وللقائمين عليها بالتآلف والحفظ من الفتن، وأظهر السخط على الاستعمار وحذر من بقائه داعيا إلى محو آثاره؛ ثم دعا للجزائريين بالتوفيق والوَحدة والمحبة لخدمة الوطن، وذكرهم بتمكين الله في الدنيا للمؤمنين المصلحين.

وتتمثل الفكرة العامة للخطبة فيما يلي: التنويه باستعادة المسجد والحث على تثمين المكسب والعمل على ازدهار الوطن وصونه من المخاطر؛ وهي الفكرة التي تتمحور حولها مجموعة من الأفكار الرئيسة، أو الجمل الكبرى Macroproposition، ضمن بنية كلية، ووَحدة موضوعية، لم تخرج عن سياق الفكرة العامة؛ والوحدة الموضوعية من أهم مميزات كتابات الشيخ الإبراهيمي في خطبه ومقالاته، وتتمثل تلك الأفكار فيما يلي:

1. ستخلاص السنة الإلهية في الأخذ والعطاء بالمقارنة بين الأمس واليوم
2. الدعاء للجزائر بالازدهار وللقائمين عليها بالتآلف، والتبرؤ من الفتانين
3. الابتهاج باستعادة المسجد بالتضحية والإيمان، وتخليد يومه
4. السخط على الاستعمار، وإنكار أن يبغي دين المسيح على دين محمد
5. توكيد أن الغنيمة الحقيقية في المسجد هي وظيفته الدينية، لا مجرد هيكله
6. حث الجزائريين على إحياء المسجد بالصلاة والتلاوة
7. تحذير الجزائريين من المستعمر، وحثهم على التكفل بضحايا الثورة
8. تحذير الجزائريين الذين ضحوا كثيرا من تشويه محاسن الثورة بالغرور
9. الحث على إعانة الحكومة ، والتوجه للبناء، والإعراض عن السفاسف
10. الدعاء بالتوفيق والوَحدة والمحبة، والتذكير بجزاء الله في الآخرة

عند قراءة هذه الأفكار نلاحظ بداية أن الإبراهيمي حاول استغراق أكبر قدر ممكن من المعاني المتعلقة بالمناسبة، فخاصية الشمول من أبرز خصائص الخطبة، فقد سعى الخطيب إلى استغلال زمن الخطبة الضيق للتعبير عن المعاني العميقة والعبر والدروس التي توحي بها المناسبة التاريخية ذات الدلالة الرمزية المكثفة؛ فجاءت الأفكار عبارة عن ومضات إرشادية متنوعة مترابطة بسلك رفيع من الوحدة الموضوعية، ولعل ذلك ما حدى بالإبراهيمي إلى إيثار لغة أقربَ إلى الوظيفة الإعلامية الإرشادية، والابتعاد عن اللغة ذات الوظيفة الشعرية الفنية التي عرف بها في إطار مدرسة الصّنعة التي يجمع فيها بين العناية بالمعنى والعناية باللفظ.

ولعل عدم إيغال الخطبة في اللغة الشعرية هو ما دفع نجل الإبراهيمي الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي - مثلما ذكرنا سابقا - إلى التصريح بأن هذه الخطبة لم تكن ذات قيمة أدبية بارزة كما عُهِد عند الشيخ في الأربعينات والخمسينات، عدا بعض الصور البيانية اليسيرة التي غلبت عليها

الاستعارات بنسبة 68.25 ٪، وهي صور جاءت في معظمها من نوع الكنايات والاستعارات المتداولة الشائعة التي يسميها عبد القاهر الجرجاني بالاستعارات الميِّتة أو العامِّيَّة (عبد القاهر الجرجاني، 1945: 42)، وهي التي يجري فيها اللفظُ المستعارُ على المستعارِ له جَرَياناً ثابتاً كالصفة للموصوف، مثل الاستعارات الآتية: « رَحْمَةً تُضَمِّدُ الجِرَاحَ، تَوْفِيقًا يُنِيرُ السَّبِيلَ، وَتَعَاوُنًا يُثْمِرُ الْمَنْفَعَةَ، وَأُنْفِقُ . . أَوْقَاتِي، الْبَغْيُ رُكِّبَ فِي غَرَائِزِهِ، اشْتَرَيْتُمْ حُرِّيَّتَكُمْ ، يَرْكَبُكُمْ الغُرُورُ، السُّمْعَةُ العَاطِرَةَ ، تُشَوِّهُوا مَحَاسِنَ الثَّوْرَةِ . . »، ومن الكنايات والتشابيه: « يُثَبِّتُ الْأَقْدَامَ، تُضَمِّضُ الجِرَاحَ، يُنِيرُ السَّبِيلَ، جَمَعَ أَيْدِيَكُمْ، بُذُورَ الثَّوْرَةِ، الِاسْتِعْمَارُ كَالشَّيْطَانِ .. »

وتدور أفكار الخطبة حول محورين اثنين، هما: "مسجد كتشاوة" الذي يمثل البعد الديني، و"الجزائر" التي تمثل البعد الوطني، حيث يمثل المسجدُ حاضِناً للأنشطة الشعائرية والإرشادية في الإسلام أين تكررت الألفاظ الآتية المنتمية إلى الحقل المعجمي: اللهُ، التوحيدُ، الإسلامُ، المسجدُ؛ وحيث تمثل كلمة "المَسْجِدُ" البؤرةَ والكلمةَ المفتاحية فيها؛ والخطابةُ كما يقول أبو هلال العسكري: « لَهَا الْحَظُّ الْأَوْفَرُ مِنَ الدِّينِ، لِأَنَّ الْخُطْبَةَ شَطْرُ الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ عِمَادُ الدِّينِ » (أبو هلال العسكري، 1952: 136)؛ كما تكررت كلمة " الأرض" الدالة على البعد الوطني.

ولا تخفى النزعة الإصلاحية لدى الإبراهيمي في هذه الخطبة، حيث اغتنم المناسبة بالتذكير أن الغنيمة الحقيقية في استعادة المسجد هي استعادة وظيفته الشعائرية والإرشادية من صلاة وتلاوة وتوجيه، لا مجرد صورته المادية من السقوف والأبواب والحيطان؛ ويتضمن الخطاب الإصلاحي لدى الشيخ نظرةً استشرافية إلى المستقبل، حيثُ ختم الخطبة بنصائحَ إلى الجزائريين بتأييد حكومتهم الفتية والحفاظ على مكاسب الثورة وعدم تضييعها بالغرور والخلافات وسوء التدبير، ونصحهم بالتكفل بضحايا الثورة الذين لا تندمل

ندوبهم إلا بعد عشرات السنين، وحذرهم من النكوص على الأعقاب بعد تحقيق النصر على المستعمر، وذلك بالتمكين له في المجال الاقتصادي والثقافي، أو التعامل معه من غير ضرورة.

وكأنما الإبراهيمي قد استشعر بحسه التطلّعي الاستشرافي إمكانية حصول ما توقعه من المزالق والرِّدات التي لم تجانف الواقع، إذ سرعان ما طفحت بينه وبين نظام الرئيس أحمد بن بلة الخلافات التي كانت بين الحركة الثورية وجمعية العلماء المسلمين أثناء ظروف الأزمة الروحية والاقتصادية والسياسية المعقدة التي مرت بها الجزائر سنة 1964، مما أدى إلى توقيف راتبه وفرض الإقامة الجبرية عليه حتى وفاته في 21 مايو 1965.

ونلاحظ في موضوع الخطبة أيضا تجسيد مفارقة ماثلة في ثنائيتين: ثنائية "الأمس واليوم"، وثنائية "الاستعمار والجزائريون"؛ تقوم ثنائية "الأمس واليوم" على مقارنة تعكس النظرة العادلة المنصفة إلى الحقائق عند الشيخ الإبراهيمي، حيث أنصف القول في قومه زمن الاستعمار حين أحال المحتلُّ مسجد التوحيد إلى كنيسة للتثليث، فوصفهم بأنهم مقهورون، لكنهم غيرُ معذورين - رغم القهر المسلط عليهم - في تضييعهم المسجد وتقصيرهم في صونه وحمايته، وقد جعله التاريخ أمانة في ذمتهم، وهم يستحقون لذلك غضب الله وسخطه.

وقد استعان النص في إبراز الثنائية الضدية للأمس الحزين المقصر والضائع واليوم المنتصر السعيد المستبشر الذي تشوبُه المخاطرُ بمجموعة من الألفاظ والعبارات المتحاقلة زمنيا، والتي تنتمي إلى مجالين مختلفين، حقل الأمس: (نبتنا، غذينا، أوذينا، أضعتموها بالأمس، كنا نمر، خرج من أرضكم، اشتريتم حريتكم ..)، وحقل اليوم: (داع يدعو، ساع يسعى، ناعق ينعق، يطفح .. البشر، فاشملوهم، وامسحوا ..)

أما الثنائية الضدية الثانية " الاستعمار و الجزائريون " فهي تقوم على مقارنة تعكس نظرة السخط ونظرة الرضى؛ السخط على الاستعمار الغاشم الذي مثله الإبراهيمي في صورتين مختلفتين؛ فهو في صورة النواميس الكونية يندرج ضمن الطبيعة الإنسانية التي رُكِّب فيها البغيُ والنزوعُ إلى الظلم والميلُ إلى الشر، وغلبتُه على المساجد وتحويلها إلى كنائس عدلٌ من الله وفق سنة إلهية لا تظلم أحدا ولا تحابي أحدا؛ لكن الصورة الشاخصة للمستعمر جعلته أفظع وأنكى من الصورة العامة، إنه يجسد صورة الشيطان بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فهو ليس من استلب البلاد وحارب الإسلام وصهر الجوانح وأسال العبرات وترك عشرات الآلاف من اليتامى والأيامى والمشوهين فحسب، بل الأدهى والأمر أنه فعل ذلك باسم دين عيسى روح الله وكلمته تعصبا ضد المسلمين، والحال أن المسيحية والإسلام أديان سماوية تصدر من مشكاة واحدة، وهي أديان لا تأمر بالتعصب والفساد والظلم.

أما الجزائريون في الحاضر فقد شملهم الإبراهيمي بنظرة فيها تقدير لأصالته في حلبة الإسلام والإيمان الذي كان دافعا لهم في استرداد حريتهم، وفيها إعجاب وشكر وعرفان بطول جهادهم في ثورتهم وبالعجائب والخوارق التي حازوا بها إعجاب العالم ما لم يحزه شعب ثائر آخر، وهو تقدير وعرفان ممتزج بالشفقة عليهم لِمَا طالهم من المعاناة والتضحيات الجسام التي لم يقدم مثلها شعب آخر من شعوب الأرض، لا قديمًا ولا حديثًا.

4.1.2. بنية الخطاب

عند تحليل بنية الخطاب في خطبة الإبراهيمي فإننا نبحث في طبيعة عرض الأفكار من حيث هيكلتُها وطريقةُ تقسيمها وترتيبها وكذا كيفيةُ تدرجها وانتقالها وفق جنس النص أو بنيته الفوقية مع ملاحظة الروابط الوصلية الانتقالية بين الموضوعات الجديدة.

مما تقدم يتبين لنا أن الإبراهيمي قد عرض أفكارا متضامة ضمن موضوع الإشادة بمناسبة استعادة مسجد كتشاوة كمكسب خاص، واستعادة الحرية للوطن، وهو المكسب الأكبر ؛ غير أنه لم يُفَصِّلْ حديثه ضمن تجميعات محددة للأفكار أو تقيّد بهيكل تنظيمي معين أو خطة رتيبة من مقدمة وعرض وخاتمة، وإنما سلك فيه مسلك التداعي والتدرج الطبيعي السلس للأفكار التي يسوق بعضها بعضا من دون تكلف.

فقد بدأ الإبراهيمي الخطبة بالكليات، حيث قام أولا بإرساء مدخل مناسب للموضوع الرئيس للخطبة بتقديم نظرة سُننية شاملة للحدث يستجلي من خلالها الحكمة الربانية لسلب المسجد واسترجاعه بين الأمس واليوم، فذكر الجزائريين كجزء من المجتمع الإنساني إلى جانب الفرنسيين « تَجَلَّى عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ بِالغَضَبِ وَالسُّخْطِ .. وَتَجَلَّى بِرَحْمَتِهِ وَرِضَاهُ عَلَى آخَرِينَ »، ثم التفت من المكسب العظيم "المسجد" إلى المكسب الأعظم وهو الوطن الجزائري؛ لكن الإبراهيمي وقد أخذته الشفقة على القائمين عامةً على شؤون هذه الأمة (الجزائر) لِمَا تقلدوه من المسؤوليات الجسام غداة الاستقلال بدأ بالدعاء لهم أولا بالتآلف والوحدة، ثم دعا للبيت الحاضن للجزائريين وكل مكتسباتهم، والذي يستحق الدعاء له بالعمار والثمار والغيث المدرار، وهو الجزائرُ.

وبعد أن قدم الإبراهيمي للخطبة بالكليات وأرسى موضوعها انتقل إلى صلب الموضوع فثمَّن حدث استعادة المسجد مخلدا يومه، ومصورا شدة الفرح به لدى الحاضرين؛ لكن الاحتفال باللحظة الراهنة ما كان أبدا لينسيه ما للإيمان بالله والتضحية من الفضل في افتكاك الحرية من المستعمر، وما كان لينسيه كذلك إظهار السخط على الاستعمار الغاشم لِمَا اقترفه من البغي باسم الدين المسيحي؛ ففي تلك الفترة المبكرة من الاستقلال لم تزل لحظةُ اللذة بالحرية مقترنةً وممتزجةً في وجدان الجزائريين بألم التضحياتِ الجسامِ ضِدَّ المستعمر.

وبعد أن ثمّن الإبراهيمي حدث استعادة المسجد وأظهر البهجة به وأعرب عن سخطه على المستعمر سارع من منطلق حسه الإصلاحي ومن منطلق عدم تأخر البيان عن وقت الحاجة إلى تبديد الخاطر الذي قد يساور الأذهان حول المسجد فأكد بأن الغنيمة الحقيقية في المسجد هي وظيفته الشعائرية والإرشادية لا مجرد هيكله المادي.

وفي الأخير يتوجه الإبراهيمي إلى حاضر ومستقبل الجزائريين حاثا إياهم على الحفاظ على المكتسبات التي ضُحي من أجلها بالغالي والنفيس وحسن استغلالها وتطويرها، وذلك بإحياء المسجد بالصلاة والتلاوة، والحذر من الاغترار بالنفس، أو الركون إلى المستعمر الغادر، وكذا بالعمل على محو الآثار السيئة للفترة الاستعمارية وتشييد البلاد وإصلاحها.

وقد اعتمدت الخطبة على ألفاظ معينة حققت الربط بين الموضوعات الجديدة، ومثّلت نوافذ للانتقال بين الأفكار، وهي تدور في المحاور الآتية: الجزائر ومستقبلها، الجزائريين وتضحياتهم، المسجد واستعادته، الاستعمار وآثاره مثل: بَعْضُ عِبَادِهِ، مَسَاجِدَ التَّوْحِيدِ، هَذِهِ الْأُمَّة، الْقِطْعَةَ الْغَالِيَةَ، الْيَوْمُ الْأَزْهَرُ، يَغْمُرُهَا الْفَرَحُ، يَبْغِي الْوَحْشُ، نُدُوبًا لَا تَنْدَمِلُ، يَركَبُكُمْ الْغُرُورُ، حُكُومَتُكُمْ.

ولعل المسلك الذي سلكه الإبراهيمي في عرض أفكاره بطريقة التداعي هو الطريقة الأقرب إلى طبيعة الخطبة المرتجلة كما كانت في أصل نشأتها عند العرب، حيث تُقال الخطبة على البداهة على ما ينزع من النفس من غير إعداد سابق كما جاء في معجم المصطلحات (مجدي وهبة وكامل مهندس، 1984: 23)، والخطيبُ يلتقطُ من أفكاره المتواردة ما يُثري به خطبته في إطار الموقف التداولي التواصلي الذي يحياه مع جمهوره؛ وقد عُرف الإبراهيمي ببراعته في ارتجال الخطب البليغة التي يكون لها الوقع العظيم في نفوس المخاطبين،

وبعضها منشور في جرائد الشهاب والبصائر (انظر مثالا في جريدة "الشهاب"، 1934: 402).

4.1.3. سياق الخطاب

يتمثل السياق Contexte والمصطلح المرتبط به: "التداولية" Pragmatique في الحيثيات الملابسة للحدث الكلامي، حيث لا ينكشف المعنى إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية ضمن المعهود اللغوي الذي يطلع عليه المتلقي وما يصاحبها من الاستعمال كما يذكر الدكتور محمد أبو الفرج (محمد أحمد أبو الفرج، 1966:116)؛ وتندرجُ في مفهوم السياق أشكالٌ عديدة؛ فالسياق اللغوي على المستوى الأدنى Micro context يتعلق بالتراكيب، حيثُ لا نظمَ في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضُه ببعض، ويُبنى بعضه على بعض، مثلما يقول الجرجاني (عبد القاهر الجرجاني، 2001: ج1، ص: 45)؛ أما سياق موضوع النص و مضامينه فقد تطرقنا إليه في عنوان (موضوع الخطاب)؛ لكننا نركز على السياقات التداولية المقامية على المستوى الأكبر للنص Macro context، وهي السياقات الخارج نصية غير اللغوية التي لها علاقة بمناسبة الخطبة التي تصف ظرفا تاريخيا دقيقا وحساسا، وهو استعادة مسجد كتشاوة عشية الاستقلال.

وعند المباشرة في تحليل خطبة الإبراهيمي في مسجد كتشاوة تحليلاً لغوياً وفق سياق الحال أو المقام ينبغي الالتفات إلى جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، وهي:

1. حدث المناسبة الذي كان داعيا للخطبة من حيث المكان والزمان
2. شخصية المتكلم الإبراهيمي و المخاطبين الحاضرين والعلاقة بينهما
3. الظروف التاريخية والأوضاع السياسية والثقافية المصاحبة

لقد عول الإبراهيمي كثيرا على سياق الموقف في الكشف عن مناسبة الخطبة، حيث لم يصرح بتلك المناسبة ولا بمكانها ولا بزمانها، وذلك له علاقة بخاصية التداولية التي تميز الخطبة كفن نثري يعتمد على مخاطبة الجمهور، حيث يكون عادة المرسل والمتلقي كلاهما حاضرا في نفس الحدث وإطاره الزمكاني؛ لذلك كان لزاما على القارئ معرفة سياق الموقف الخاص بالخطبة من أجل فهم دلالات وأبعاد بعض الإشارات اللغوية مثل: بَعْضِ عِبَادِهِ (الجزائريون المسخوط عليهم إبان الفترة الاستعمارية)، أَعَادَ الْمَسْجِدَ (مسجد كتشاوة حين أحاله الاستعمار إلى كنيسة للتثليث)، هَذِهِ الأُمَّةُ (الجزائر)، هَذِهِ السَاحَةِ وَهَذَا الْمَشهَدَ (ساحة مسجد كتشاوة ومشهد تحويله إلى كنيسة)، اليَومُ الأَزْهَرُ (مناسبة استعادة المسجد وإزالة المظاهر الكنسية عنه)، مَغَانَمِ جِهَادِكُمْ (جهاد الثورة الجزائرية)، الإِسْتِعْمَارُ (الاحتلال الفرنسي)؛ ونلاحظ أن الإبراهيمي قد صرح باسم الجزائر في موضع من الخطبة بعد أن كنى عنها بالأرض الغالية: (هَذِهِ الْقِطْعَةُ الْغَالِيَةُ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ الَّتِي نُسَمِّيهَا الجَزَائِرُ) حيثُ إنه لم يكن هنا في غنى عن التصريح بدل التلميح حين قصد إلى الإشادة والافتخار بوطنه الذي يكن له كل المحبة والتقدير.

وتُلقي قناعاتُ الإبراهيمي وتوجهاتُه بظلها على ألفاظ النص وعباراته، حيث تندرج إشادةُ الإبراهيمي بحدث استعادة المسجد ودعاؤُه للوطن وحرصُه على ازدهاره في سياق النزعة الدينية والوطنية المتماشية مع المبادئ التي أعلن عنها في منهجه التربوي الإصلاحي القائم على الدين والعلم والأخلاق و الاقتصاد ضمن المبادئ العامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما وردت في آثار الإبراهيمي (أحمد طالب الإبراهيمي، 1997: 14).

ويأتي في نفس السياق التربوي الإصلاحي للإبراهيمي توكيده أن المسجد ينبغي أن يؤدي وظيفة المعهد والمدرسة والجامعة بإقامة دروس العلم النافعة

على اختلاف أنواعها من دينية ودنيوية إلى جانب الصلوات والجمع والتلاوة؛ فعند التركيز على الحقل المعجمي للألفاظ: اَلنَّافِعَةِ، الدُنْيَوِيَّةِ ، الْمَعْهَدِ، الْمَدْرَسَةِ، الْجَامِعَةِ، تظهر لنا جليا النزعة التعليمية التنويرية التمدُّنية التي كانت تعمل عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إطار التعليم الحديث في مقابل الطريقة التقليدية للزوايا والطرق الصوفية.

وفي سياق قناعات الإبراهيمي أيضا تأتي التوجيهاتُ الإرشادية للجزائريين في الخطبة مبدوءة بنداءات متكررة تحمل صفاتٍ متنوعةً لنفس المنادى، وهو الشعب الجزائري: يَا إِخْوَانِي، يَا مَعْشَرَ الْجَزَائِرِيِّينَ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، يَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ، أَيُّهَا المؤْمِنُونَ، يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ، وهي تدلُّ على قناعته بالامتزاج أو بضرورة الامتزاج بين صفات الإسلام والإيمان والأخوة والانتماء القُطري وانصهارها في بوتقة العالم الإسلامي الواحد وإن تعددت أجناسُه وأقطارُه؛ ويعتبر تخصيص الفئة المعنية بالخطاب بتكرار النداء من أهم سمات الأسلوب الخطابي كما يذكر الدكتور حسن جاد (حسن جاد، 1979: 158).

ويساعدُ الاطلاع على سياق الظروف السياسية العامة التي عاشها الجزائريون والمُزامنة للخطبة وكذا سياق الظروف التاريخية التي مر بها الكفاح السياسي والمسلح في تفسير بعض الإشارات التداولية، حيثُ يأتي تحذير الإبراهيمي من التمكين للاستعمار والتعامل معه إلا بمقدار الضرورة في سياق تحول دقيق وحساس يتمثل في فترة بُعَيْد الاستقلال، حيث كان المستعمر بالرغم من خروجه السكاني والعسكري من الجزائر لا يزال متشبثا بها اقتصاديا وثقافيا، ولا يزال له أنصار ومتعلقون من الجزائريين أنفسهم، ويأتي في نفس السياق أيضا قول الإبراهيمي: « هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْمَشْهُودُ فِي تَارِيخِكُمْ الْإِسْلَامِيِّ بِهَذَا الشَّمَالِ »، أي الشمال الإفريقي، حيث كان الكفاحُ الجزائري وثيقَ الصلة بالبعد المغاربي، بدايةً بالمطالبات السياسية المتبلورة في لجنة تحرير المغرب العربي وحزب نجم شمال إفريقيا، وانتهاءً باندلاع ثورة الفاتح من

نوفمبر 1954 التي خلقت جبهة مغاربية شعبية موحدة من أجل الاستقلال الكامل لأقطار المغرب العربي؛ كما أن توكيد الإبراهيمي بأنه لم يتم استرجاع المسجد بسقوفه وأبوابه وحيطانه وإنما كان استرجاعه بمعانيه ووظائفه التي كان يؤديها يأتي في سياق ما كانت تخوضه جمعية العلماء المسلمين في الفترة الاستعمارية من الحرب والخصومة ضد الشعوذة والمعتقدات البالية والمنحرفة لبعض الزوايا والطرق الصوفية، تلك الخصومة التي لم تكن أقلَّ ضراوةً من الحرب على المستعمر نفسه.

ونلاحظ في الخطبة كثرةً في الإحالات المقامية الخارج نصية عن طريق ألف ولام العهد الذهني المفاهيمي مثل: أُلْفَةً تَجَمُّعِ الشَّمْلِ، وَوَحْدَةً تَبْعَثُ الْقُوَّةَ، وَرَحْمَةً تُضَمِّدُ الْجَرَّاحَ، وَتَعَاوُنًا يُثْمِرُ الْمَنْفَعَةَ..، ولا يخفى على الناقد ما للإحالات المقامية بألف ولام العهد الذهني من دور في تمكين المعاني في النفس.

4.1.4. المعرفة الخلفية

عند تأليف أو قراءة نص ما يتم استحضارُ سيناريوهاتٍ معينة ومخزونٍ متراكمٍ من تجارب سابقة ومعرفة بواقع الماضي والحاضر والحالة الطبيعية المفترضة للعالم كأطر ذهنية معرفية مشتركة يلتقي ويتوافق فيها الكاتب مع القارئ، حيثُ يقوم الكاتب بشكل واع أو غير واع بالانتقاء من المخزون الذي لديه المعلومات الضرورية الملائمة التي تساعده على تقديم رؤيته الخاصة، وهو تقريبا نفس المخزون والإطار الذي يساعد القارئ أيضا على فهم مرامي النص وإدراك أبعاده؛ ويُسْهِمُ اطلاع القارئ خاصةً على المعرفة الخلفية التي يصدر منها الكاتب في تحقيق الانسجام للنص ورَتْقِ ما فيه من الفجوات اللغوية الاتساقية باعتبار تلك المعرفة عنصرا أساسيا من عناصر بنية النص الكبرى، ويتحقق ذلك الانسجام بقدر ما يتوفر في هذه المعرفة من الترابط والتحاقل وعدم التناقض بين المعلومات التي يعرضها النص في إطار موضوعه الرئيس؛ ومما يساعد القارئ كذلك على إدراك الانسجام بين تلك المعلومات تنميطها

وفق مجالات معينة: إسلامية، سياسية، دينية، أخلاقية، قد يكون الكاتب متخصصا أو متميزا فيها.

وتعكسُ خطبة الإبراهيمي مخزونا هاما من معارف خلفية ضمن رؤية دينية سُننية اجتماعية وتاريخية ساهمت في تحقيق الانسجام والتآلف بين أجزاء النص، والتي تتجلى فيما يلي:

أولا: التمكن من الثقافة الدينية

كان الشيخ الإبراهيمي كما يُعرّفه الشيخ مشهور مشهودا له بقوة الحافظة وسعة العلم وغزارة المادة (مشهور حسن آل سلمان، مقالة بمجلة "الأصالة"، العدد 1، 1992)، ويَظهرُ ذلك في توشيحِ خطبته بالنصوص الدينية من آيِ القرآن والحديث النبوي وفق أغراض الخطبة بما يحقق الإقناع لتوجيهاتها والانسجام بين أجزائها، وقد كان الخطباءُ يميلون إلى الاستشهاد في الرسائل والخطب الطويلة من القرآن والأمثال والحكم ويُعرِضُون عن الشعر (أحمد مطلوب،2001: 222).

وقد جاءت النصوصُ الدينية في الخطبة في سياق الحث على الحفاظ على مكتسبات الثورة بالترغيب في عمارة المساجد وعدم تضييعها مستشهدا بالآيات: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ التوبة ١٨، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ البقرة، من الآية: ١١٤؛ وكذلك في سياق التحذير من الاستعمار، وهو أصل الداء مشبها إياه بالشيطان إسقاطاً للحديث النبوي: « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ »؛ ونصحهم أيضاً بخدمة هذا الوطن الذي افتُك من براثن المستعمر والعملِ على ازدهاره من خلال الآية: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ ﴾ النور، من الآية: ٥٥

ثانيا : الاطلاع على الواقع وفهمه

تعكسُ الخطبة معرفةً وفهماً أصيلاً لدى الإبراهيمي بظروف الجزائريين التي مروا بها قريبا وواقعِهم الذي يعيشونه في الحاضر، ويتجلى ذلك في تقديره العميق لأهمية استعادة مسجد كتشاوة للجزائريين، وكونِه أمانةً يتحملونها في أعناقهم كمسلمين موحدين من أمة محمد: « اليَوْمُ المَشْهُودُ فِي تَارِيخِكُمْ / حِصَّةُ الْإِسْلَامِ مِنْ مَغَانِمَ جِهَادِكُمْ / وَدِيعَةُ التَّارِيخِ فِي ذِمَمِكُمْ » ؛ فاستعادة المسجد ليست مسألة تحرير لجزء من الجزائر من الاستعمار فحسب، وإنما هو حصةُ الإسلام من مغانم الجهاد، وبيتُ التوحيد عاد إلى التوحيد، وكلمتُه التي عادت لمستقرها.

وقد أدرك الإبراهيمي حقيقة الإدراك قيمة الجائزة التي افتكها الجزائريون بالثورة التي أكلت الأخضر واليابس، ودفعوا من أجلها الثمن الغالي؛ فجائزة الحرية والاستقلال لا تتمثل في استعادة المكتسبات المادية فحسب، وإنما في استعادة مقوّمات الهوية الوطنية الإسلامية والحرية في ممارسة الشعائر الدينية: « إِنَّكُمْ لَمْ تَسْتَرْجِعُوا مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ سُقُوفَهُ وَأَبْوَابَهُ وَحِيطَانَهُ.. وَلَكِنَّكُمْ اسْتَرْجَعْتُمْ مَعَانِيَهُ الَّتِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهَا الْمَسْجِدُ فِي الْإِسْلَامِ وَوَظَائِفَهُ الَّتِي كَانَ يُؤَدِّيهَا ».

وأدرك الإبراهيمي أيضا خطورة المستعمر الفرنسي الذي يترصد تلك الحرية، وفهم حقيقته فهما جيدا، فهو لا يزال متغلغلا في مصالح الجزائريين وأرضِهم ولغتِهم وتعاطفِ بعضهم معه؛ وأدرك أيضا ثقل الحِمْلِ المُلقى على كاهل الحكومة الفتية، فحثَّ الجزائريين على تأييدها.

وإذا كان الإبراهيمي يستذكر فترة الثورة بكثير من التقدير والاعتراف للشعب الجزائري بالشجاعة والتضحية فهو ينظر إلى مرحلة المطالبات

القولية التي كانت قبل الثورة على أنها فترة تضييع وتقصير وقصور من طرف الجزائريين في فهم طبيعة الاستعمار وعلاجه باللغة التي يفهما، لغة المغالبة والكفاح المسلح، فما أُخذ استلاباً لا يُستردُّ إلا غِلاباً، غير أن هذه الفترة - حسب رأيه - كان لها فضلُ إيقاظ النفوس وتحريكها نحو ثورة البنادق.

وتكشفُ الأوصاف التي وصف بها الإبراهيمي المستعمر عن شخصية خبيرة بخبايا الاستعمار ودسائسه، فهو لن يخرج من الجزائر بسهولة وقد استوكر فيها ردحا طويلا من الزمن، ولئن اضطر إلى الخروج مكرها فهو لن ينفض يديه عنها نهائيا أو يستل منها كل خيوطه، خاصة وأن له سماعين وأذنابا من بني جلدة الجزائريين أنفسهم، يحافظون على لسانه ومصالحه.

ثالثا: معرفة السُّنن الإلهية وطبيعة العالم المفترضة

لقد اكتسب الإبراهيمي معرفةً بطبيعة العالم المفترضةِ وسُننِه المطردة بما يدل على اطلاعه على تاريخ الأمم والشعوب في أحوال النصر والهزيمة وأسبابهما واستفادته منه، حيثُ أدرك سنة العطاء والسلب الإلهية القائمة في عباده على ميزان اتباع شرع الله مع الأخذ بالأسباب، وهي سنة صارمة لا محاباة فيها: « وَلَكِنَّهَا سَنَتُهُ فِي الْكَوْنِ وَآيَاتُهُ فِي الْآفَاقِ يَتَّبِعُهَا قَوْمٌ فَيُفْلِحُونَ، وَيُعْرِضُ عَنْهَا قَوْمٌ فَيَخْسَرُونَ » ؛ وكذلك عرف أن الإيمان القوي بالله والقناعة الراسخة بعدالة القضايا التي تدافع عنها الشعوب المقهورة هو الزاد الأكبر للنصر على الأعداء مهما كانت سطوتهم: « فَالْإِيمَانُ الَّذِي تُتَرْجِمُ عَنْهُ كَلِمَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَعَادَ الْمَسْجِدَ إِلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَتَى بِالْعَجَائِبِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي هَذِهِ الثَّوْرَةِ »

وأدرك الإبراهيمي أيضا أنه كما أن في غرائز الحيوان طبعا في البغي فإن في عروق البشر نزوعا إلى الحيوانية والظلم والشر، وذلك ما يتجسد في شخصية المستعمر الشيطانية، غير أن الذي أثار استنكاره أكثر مِمَّا خالف النواميس

الإلهية هو أن يحصل البغي من المستعمر بادعائه عداوة دين سماوي لدين سماوي آخر، والحال أن الأديان السماوية تصدر من مشكاة واحدة، وهي لا تحث على البغي والظلم.

وبالرغم مما تسبب فيه المستعمر من شعور لدى الجزائريين بالبؤس والمعاناة غداة الاستقلال غير أن الإبراهيمي مدركٌ ما في طبيعة الإنسان من التثمين والحرص والشغف بما يكتسبه بعرق الجبين وكد اليمين، إذ لولا تلك التضحيات لما كانت للجزائريين نشوةٌ عارمة بالاستقلال وعزيمةٌ حقيقة على الحفاظ على المكاسب وتثمينها بالعمل والجد في تحقيق التقدم والازدهار للوطن: « أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الِاسْتِعْمَارَ الْغَاشِمَ أَعَادَهُ إِلَيْكُمْ عَفْوًا مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ، وفيئةً مِنْهُ إِلَى الْحَقِّ مِنْ دُونِ نَصَبٍ، لَمَا كَانَ لِهَذَا الْيَوْمِ مَا تَشْهَدُونَهُ مِنْ الرَّوْعَةِ وَالْجَلَالِ»

4.2. مستوى البنية الصغرى

البنية الصغرى للنص هي وحداته اللفظية الجُملية المتسلسلة المترابطة المنتمية إلى قاعدة النص (base de texte) وما تحمله من دلالات محلية تُسهم في الانسجام الطوليّ أو المتدرج داخل كيان وهيكل أوسع يتمثل في الجمل الكبرى والبنية الكلية للنص. وتتجسد الروابط الاتساقية في الخطبة بمعدل 2.30 رابطا في الجملة الواحدة، وهو مؤشر يدل على مستوى عال من الترابط والتماسك داخل النص، وهو ما يتيح له فرصةً أكبر من الالتحام والانسجام. ونتناولُ مستوى البنية الصغرى من جانبين: المؤشراتُ الرَّبْطِيةُ، والمؤشرات المرجعية.

4.2.1. مؤشر الاتساق الرابطي

تتمثل أدوات الربط في حروف العطف، وحروف العطف الواردة في النص هي: الواو، ثم، الفاء، بل؛ وتسهم هذه الأدوات الربطية في توطيد العلاقات والمناسبات بين المتتاليات الجملية، و تتيح للقارئ فهمها واستيعابها؛ ولذلك فقد قمنا بفحص الجمل في الخطبة للكشف عما فيها من الرابطية، أي مدى توفر الروابط اللفظية الحرفية الصريحة التي هي بمثابة مؤشرات تعبر عن علاقات: الإضافة، السببية، الترتيب، الاستدراك، وغيرها.

ويُعدّ الربط بحرف العطف "الواو" في باب الفصل والوصل من أدق وأخفى مباحث علم البلاغة باعتراف أرباب البلاغة العربية مثل الجرجاني والسكاكي (عبد القاهر الجرجاني، ص: 187)، حيث يشترط توظيف الواو أو حذفها مراعاة ميزان نحوي ودلالي دقيق بين الجملتين المقترنتين. والواو هي من أكثر الروابط العطفية تداولا في النصوص، حيث بلغ عدد الواوات الرابطة بين الجمل في الخطبة نسبة 41.6 % من إجمال حروف العطف؛ وتُذكر الواو في حالة الوصل عند اشتراك الجملتين في الحكم الإعرابي أو أفعال الكلام (الخبرية والإنشائية) مع ضرورة وجود علاقة مناسبة أو جهة جمع بينهما، بينما تحذف في حالة الفصل عند كمال الانقطاع باختلاف الجملتين خبرا وإنشاء مع شرط العلاقة المناسبة أو عند انتفاء المناسبة الظاهرة بينهما، وتحذف أيضا عند كمال الاتصال باتحاد الجملتين توكيدا أو بيانا أو بدلا.

غير أن الاستعمال الموسع للغة قد يتجاوز أحيانا القواعد النحوية التركيبية للفصل والوصل التي يهيمن عليها النسق المنطقي كما يذكر الدكتور محمد مفتاح (محمد مفتاح، 1994: 24)، يتجاوزها لاعتبارات جمالية متعلقة بالبنية العميقة للنص، إذ قد يحدث العدول عن الوصل إلى الفصل أو العكس كما هو في أمثلة عديدة من القرآن الكريم ذكرها الكاتب

عبد الله خضر حمد (عبد الله خضر حمد، 2017: 125)، لذلك فإن براعة الكاتب الحقيقية تظهر في مدى توفر جمله على علاقات جمع دلالية منطقية ومقبولة ظاهرة أو ضمنية، ثم في اختياره أداة الربط المناسبة لتلك العلاقة إذا اختار أو التجأ إلى الوصل بينها.

وإذا استعرضنا أمثلة للفصل والوصل في الخطبة نجد عدة أشكال منها متضمنة علاقات دلالية مختلفة مثل عطف الشيء على ضده أو نقيضه فيما يتعلق بالسنن التي يجريها الله على عباده: « تَجَلَّى عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ بِالغَضَبِ وَالسُّخْطِ، وَتَجَلَّى بِرَحْمَتِهِ وَرِضَاهُ عَلَى آخَرِينَ / وَمَا ظُلَمَ الْأَوَّلِينَ، وَلَا حَابَى الْآخَرِينَ »، وما يتعلق بعلاقة الجزائريين بالمستعمر: « أَضَعْتُمُوهَا بِالْأَمْسِ مَقْهُورِينَ، وَاسْتَرْجَعْتُمُوهَا الْيَوْمَ مَشْكُورِينَ / أَخَذَهَا الِاسْتِعْمَارُ مِنْكُمْ اسْتِلَابًا، وَأَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ غِلَّابًا » ؛ ومثل عطف الرجاء من الله ما يصون البلاد على رجاء ما يعمرها ويبنيها: « وَنَعُوذُ بِاللَّهِ وَنَبْرَأُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى الْفُرْقَةِ وَالْخِلَافِ، وَنُحَيِّي بِالعَمَارِ وَالثِّمَارِ وَالْغَيْثِ الْمِدْرَارِ هَذِهِ الْقِطْعَةَ الْغَالِيَةَ » ؛ أو العطف بين الجمل التي تتضمن نصائح بما يُصلح حال الجزائريين ويصون وحدتهم واستقلالهم: « فَأَعِينُوهَا [حكومتكم] بِقُوَّةٍ، وَانْصَحُوهَا، وَلَا تَقْطَعُوا أَوْقَاتَكُمْ فِي السَّفَاسِفِ »

ومن الخصائص الأسلوبية في خطبة الإبراهيمي التي لها علاقة بالعطف بين الجمل الخبرية ظاهرة تكرار المعاني والاسترسال فيها لغرض التوكيد، كما هو الحال في الجمل المتوازية الآتية، حيث نجد إلحاحا في الإشادة بمناسبة صلاة الجمعة الأولى في مسجد كتشاوة وفي وصف مظاهرها: « هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْأَزْهَرُ / وَهَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْأَغَرُّ / وَهَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْمَشْهُودُ / وَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ الْغُرَّةُ اللَّائِحَةُ / وَهَذَا هُوَ التَّاجُ الْمُتَأَلِّقُ / يَغْمُرُهَا الْفَرَحُ، وَيَطْفَحُ عَلَى وُجُوهِهَا الْبِشْرُ / فَسَيَكُونُ هَذَا الْيَوْمُ أَوْضَحَهَا سِمَةً، وَأَطْوَلَهَا غُرَّةً، وَأَثْبَتَهَا تَمْجِيدًا » ؛ ونجد على هذا النحو التوصيف لمعاناة الجزائريين: « يَسْهَرُ الْجَوَانِحَ، وَيُسِيلُ الْعَبَرَاتِ /

فَاشْمَلُوهُمْ بِالرِّعَايَةِ حَتَّى يَنْسَى الْيَتِيمُ مَرَارَةَ الْيُتْمِ، وَتَنْسَى الأَيِّمُ حَرَارَةَ الثُّكْلِ، وَيَنْسَى الْمُشَوَّهُ أَنَّهُ عَالَةٌ عَلَيْكُمْ »

أما بالنسبة للروابط الاتساقية المنطقية فقد بلغت نسبة توظيف فاء العطف السببية بما فيها الفاء الرابطة لجواب الشرط أكبر النسب بين الروابط المنطقية، حيث بلغت 78.57 %، وقد جاءت الفاء في سياق الاقتضاء المنطقي دالة على السببية مثل: « تَجَلَّى عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ بِالْغَضَبِ، فَأَحَالَ مَسَاجِدَ التَّوْحِيدِ إِلَى كَنَائِسَ / يَتْبعُهَا قَوْمٌ فَيَفْلَحُونَ، وَيُعْرِضُ عَنْهَا قَوْمٌ فَيَخْسَرُونَ / إِذَا عُدَّتِ الْأَيَّامُ فَسَيَكُونُ هَذَا الْيَوْمُ أَوْضَحَهَا سِمَةً / إِنَّ حُكُومَتَكُمْ الْفَتِيَّةَ مِنْكُمْ فَأَعِينُوهَا بِقُوَّةٍ.. »، ودالة على التفسيرية أو التعليلية مثل: « قَدْ يَبْغِي الْوَحْشُ عَلَى الْوَحْشِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ غَرِيبًا / اسْتَرْجَعْتُمْ مَعَانِيَهُ الَّتِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهَا الْمَسْجِدُ فِي الْإِسْلَامِ وَوَظَائِفَهُ الَّتِي كَانَ يُؤَدِّيهَا، فَإِنَّ الْمَسْجِدَ كَانَ يُؤَدِّي وَظِيفَةَ الْمَعْهَدِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالْجَامِعَةَ / اِمْسَحُوا عَلَى أَحْزَانِهِمْ بَيْدِ الْعَطْفِ وَالْحَنَانِ فَإِنَّهُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ » ؛ وتدل كثرة الجمل السببية والتفسيرية على توفر قيمة الإقناع الحجاجي في النص بما يتماشى مع طبيعة فن الخطابة التي تسعى إلى توعية الجمهور وإقناعه بتغيير الأفكار والسلوكات.

4.2.2. مؤشر الاتساق المرجعي

بلغت نسبة أدوات الاتساق المرجعي الدلالي والمعجمي في نص الخطبة نسبة 79.84 ٪ من مجموع الأدوات الاتساقية، وهي تتضمن الأشكال الآتية: الإحالة، التكرار، التضاد، التضام؛ وقد كان للإحالة الضميرية بشتى أشكالها الدور الأكبر في تحقيق الاتساق المرجعي، حيث بلغت نسبتها 81.07 ٪ من مجموع أدوات الاتساق المرجعي، وقد جاءت متنوعة، نصيةً تتمثل في ضمائر الغيبة مثل: عِبَادِهِ، يُفْلِحُونَ، سُبْحَانَهُ، حُبُّهَا، يَغْمُرُهَا ؛ وأخرى مقاميةً تتمثل في ضمائر المتكلم والمخاطب: نَبَتْنَا، ثَبَتْنَا، التَقَيْتُمْ، وأسماء الإشارة: هَذَا هُوَ اليَوْمُ المَشْهُودُ، ذَلِكَ المَعْنَى، ولام العهد الذهني: بِالغَضَبِ، الشَرْقِ، الإِسْلَامِ،

الوَحْشِ؛ والملاحظُ أن الإحالات الضميرية في النص تحوم حول البعد الوطني والديني، وهي بذلك جاءت موافقة لموضوع الخطبة الرئيس، ومتناسبة مع الكم الإحصائي لتكرار كلماتها المفتاحية: مَسَاجِدَ، التَوْحِيدِ، الإِسْلاَمِ، اللهَ، الأَرْضَ، الثَوْرةِ، الاِسْتِعْمَارَ؛ غير أنه يظهر أن البعد الوطني كان الأرجح كفة والأوفر حظاً في مناسبة الخطبة، حيث نال حصة الأسد من الإحالات بمجموع 89 إحالة.

4.3. مستوى السهولة النصّية

4.3.1. مألوفية الألفاظ

قمنا بفحص مستوى السهولة في الخطبة وفق مؤشر الألفاظ ومؤشر البُنَى التركيبية المتوازية؛ فلاحظنا بلوغ الألفاظ نسبة عالية من المألوفية، حيث بلغ عدد المفردات الاسمية غير الشائعة 16 مفردة فقط، بنسبة لم تتجاوز 3.97 % من مجموع الأسماء الواردة في الخطبة، بالرغم من اشتهار الإبراهيمي بانتقاء ألفاظه من القاموس اللغوي القديم، وهي: الاِسْتِرْجَاعَ، (من القول: إنا لله وإنا إليه راجعون)، الأَزْهَرُ، الأَغَرُّ، الأنْوَرُ، الأَيِّمُ، الجِبِلَّةِ، الحَوْقَلَةَ، الشِيَاتُ (جمع شِيَةٌ، أي علامة)، الطُرَرِ (جمع طُرّةٌ، وهي هنا حاشية الكتاب)، العَبَرَاتِ، الغُرَّةُ، فَيْئَةً، المُحَجَّلُ، مَغْنَى، نَاعِقٍ، نُدُوباً؛ وقد اعتمدنا في معرفة صفة الشيوع على مرجع قائمة مكة للمفردات الشائعة Word List (وحدة معهد اللغة العربية للبحوث والمناهج في جامعة أم القرى، 1981)، وهي أحدث المراجع في قوائم المفردات العربية الشائعة القائمة على منهج الإحصاء الموضوعي.

4.3.2. البنى التركيبية الموازية

يسيطر مفهوم التناسب والتناسق على نظرية الجمال منذ القديم (انظر: بنديتوكروتشه، 1963: 36)، فالجميلُ يظهر في الشكل من جهة التناسب والتشابه والتناظر والتوافق والتوازن، والإنسان مولع به فطريا، فهو

يميلُ إلى بناء الكلام على الإيقاع المتوازن والمتماثل في البنى التركيبية؛ وفي البلاغة العربية كثيرٌ من المحسنات البديعية اللفظية التي تستجيبُ إلى هذه النزعة الفطرية مثل: السجع، الجناس، الطباق، المقابلة، الموازنة، التصريع، التطريز، الازدواج، ومراعاة النظير، بالإضافة إلى ظاهرة الإيقاع العروضي في الشعر.

ومن أبرز الخصائص اللفظية النثرية المطلوبة في الرسائل والخطب وبعض أنواع النثر السردية كالمقامات خاصيةُ الازدواج اللفظي، وهو كما يعرفه الدكتور أحمد مطلوب تقسيمُ الكلام إلى مقاطع جُملية متتالية متناظرة تتوازنُ فيها البنياتُ وتتماثلُ الدوالُّ على منوال ترتيبي واحد صوتيا وصرفيا ونحويا (تركيبيا) ودلاليا، بأن تكون الجملُ متساويةً بينها من حيث عددُ الكلمات، ومتفقةً في إيقاع الحركات والسكنات والميزان الصرفي، تُقابلُ كلُّ كلمة ما يعادلُها وزناً في الجملة الآتية، من دون التزام للسجع، وبحيثُ تعبر تلك الجمل المتوازية عن حقيقة واحدة، بالشكل الذي يُحدِثُ في الكلام جرسا موسيقيا يُطربُ الأذن ويجلبُ الانتباه، ويغري القارئ بمتابعة القراءة (أحمد مطلوب، 2000: 60، و محمد كنوني 1999: 80)، وقد كان للأدباء اهتمامٌ كبير به، حتى إن أبا هلال العسكري يقول: « لَا يَحْسُنُ مَنْثُورُ الْكَلَامِ، وَلَا يَحْلُو حَتَّى يَكُونَ مُزْدَوِجًا، وَلَا تَكَادُ تَجِدُ لِبَلِيغٍ كَلَامًا يَخْلُو مِنْ الِازْدِوَاجِ، وَلَوْ اسْتَغْنَى كَلَامٌ عَنْ الِازْدِوَاجِ لَكَانَ الْقُرْآنُ » (أبو هلال العسكري: 260).

وبتأمل الخطبة نجدها حافلة بالبُنَى التركيبية المتوازية التي تمتزج فيها كل أشكال التوازي الصوتي والنحوي والدلالي، بما يعكس ولعاً كبيرا عند الإبراهيمي بهذا النوع من الأساليب، حيث بلغت تلك البُنَى نسبة 34.88 ٪ من مجموع الجمل، ونجد هذه البُنَى التركيبية على أشكال متنوعة.

فمن الجمل الطويلة: « فَأَحَالَ مَسَاجِدَ التَّوْحِيدِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ إِلَى كَنَائِسَ لِلتَّثْلِيثِ .. فَأَحَالَ فِيهِمْ كَنَائِسَ التَّثْلِيثِ إِلَى مَسَاجِدَ لِلتَّوْحِيدِ »، حيثُ نجد في الجملتين البُنَى التركيبية التكرارية الآتية:

الجانب الصرفي: فأفالَ مَفَاعِلَ التَفْعِيلِ إِلَى مَفَاعِلَ لِلتَفْعِيلِ

الجانب النحـــوي: حرف عطف + فعل ماض(هو) + مفعول به + مضاف إليه + جار ومجرور+ جار ومجرور

الجانب الدلالي: التكرار للألفاظ (مَسَاجِدَ، التَّوْحِيدِ، كَنَائِسَ، لِلتَّثْلِيثِ) الذي حقق أيضا توازيا صوتيا وجرسا إيقاعيا، وكذلك التعاكس والتضاد المعنوي بين: إحالة المساجد إلى كنائس و: إحالة الكنائس إلى مساجد.

وكذلك نجد الجمل الآتية: « وَنَبْرَأُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى الْفُرْقَةِ وَالْخِلَافِ، وَكُلِّ سَاعٍ يَسْعَى إِلَى التَّفْرِيقِ وَالتَّمْزِيقِ، وَكُلِّ نَاعِقٍ يَنْعَقُ بِالْفِتْنَةِ وَالْفَسَادِ .. يَتْبَعُهَا قَوْمٌ فَيُفْلِحُونَ، وَيُعْرِضُ عَنْهَا قَوْمٌ فَيَخْسَرُونَ .. أَضَعْتُمُوهَا بِالْأَمْسِ مَقْهُورِينَ غَيْرَ مَعْذُورِينَ، وَاسْتَرْجَعْتُمُوهَا الْيَوْمَ مَشْكُورِينَ غَيْرَ مَكْفُورِينَ .. »

ومن الجمل المركبة القصيرة نجد سلسلة الجمل الآتية: « وَأَسْأَلُهُ .. أُلْفَةً تَجْمَعُ الشَّمْلَ، وَوَحْدَةً تَبْعَثُ الْقُوَّةَ، وَرَحْمَةً تُضَمِّدُ الجِرَاحَ، وَتَعَاوُنًا يُثْمِرُ الْمَنْفَعَةَ، وَإِخْلَاصًا يُهَوِّنُ الْعَسِيرَ، وَتَوْفِيقًا يُنِيرُ السَبِيلَ .. »، وهي قائمة على البُنَى التكرارية الآتية:

الجانب الصرفي: فُعْلَةً تَفْعَلُ (الْفَعْلَ، الْفُعْلَةَ، الفِعَالَ، الْمَفْعَلَةَ، الفَعِيلَ)

الجانب النحوي: مفعول به + جملة نعتية من فعل مضارع (هي) + مفعول به

الجانب الدلالي: التضام الدلالي بين الألفاظ (أُلْفَةً، الشَّمْلَ، وَحْدَةً، الْقُوَّةَ، رَحْمَةً، تَعَاوُنًا)، فهي تنتمي إلى الحقل المعجمي المعنوي الدال على الاجتماع والتقارب.

ونجد في الخطبة أيضا أمثلة من التوازي الصرفي والدلالي المتعلق بالمفردات مثل: « اَلْأَزْهَرُ الأَنْوَرُ .. أَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ .. اَلْإِصْلَاحُ وَالتَّجْدِيدُ، وَالْبِنَاءُ وَالتَّشْيِيدُ .. اَلْبِرِّ وَالتَّقْوَى .. اَلْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ »، فأكثرُ هذه المجموعات المفرداتية جاءت مصادرَ دالةً على معاني مشتركة.

ولعلنا نعود فنُذَكِّرُ ثانية بما ذكرناه في ظاهرة تكرار المعاني والاسترسال فيها أن هذه البُنى الجملية المتوازية بشتى أشكالها إنما جاءت أساسا لترسيخ المعاني واستقصائها، وإن كانت تصيبُ غرضا إيقاعيا جماليا، وهي أيضا من أبرز الخصائص الأسلوبية الجمالية لدى الإبراهيمي؛ فالإبراهيمي كما يقول عنه الدكتور عبد الله الركيبي: « أديب مصلحٌ لا عالمٌ مصلح فقط، والفرقُ بين الأديب والعالم أن الأول يعبّرُ عن مشاعره وعواطفه بلغة جميلةٍ موحية، وهدفه إحداث اللذة الأدبية والإمتاع إلى جانب فكرة معينة يهدف إلى تصويرها، بينما تنصبُّ عنايةُ الثاني على الجانب العقلي والتفكيرِ المتّزن والوضوحِ في التعبير، لا بهدف اللذة الفنية، وإنما بهدف توصيلِ الأفكارِ » (عبد الله الركيبي: 12)

خاتمة:

قمنا من خلال هذه المقالة بالبحث عن بعض خصائص وخصوصيات الخطاب الأدبي المتعلقة بالانسجام النصي في كتابات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من خلال نموذج مستهدف، وذلك في إطار نظريات نحو النص وتحليل الخطاب، وبمساعدة معطيات إحصائية ومناقشة بعض النماذج استطعنا فعلا الوصول إلى عدة خصائص انسجامية تثبت تميز الإبراهيمي في جانب من جوانب الاستعمال العقلاني للغة المتمثل في إحكام بنية النص وتلاحمه؛ وإذ نقوم بإنجاز بهذه الدراسة فإننا نهيب بالمشتغلين في مجال الدراسات اللغوية والأدبية أن يقوموا بتمحيص الأعمال الأدبية لكبار الناثرين والشعراء المعاصرين بتوظيف الأدوات البحثية العلمية المتوفرة في مجال اللسانيات المعاصرة بعيدا عن المقولات والأحكام النقدية الانطباعية الجاهزة.

المراجع

- **الكتب:**

1. أبو هلال العسكري، (1952)، **كتاب الصناعتين**، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة
2. أحمد مطلوب، (2001)، **معجم مصطلحات النقد العربي القديم**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان
3. أحمد طالب الإبراهيمي، (1997)، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، دار الغرب الإسلامي، الجزائر
4. أحمد مطلوب، (2001)، **معجم المصطلحات النقدية**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط1
5. أحمد مطلوب، (2000)، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان
6. إسحاق بن إبراهيم، (1967)، **البرهان في وجوه البيان**، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد
7. باتريك شارووردو - دومينيك، (2006)، **معجم تحليل الخطاب**، دار سيناترا، تونس
8. بنديتوكروتشه، (1963)، **علم الجمال**، تع: نزيه الحكيم، المطبعة الهاشمية، دمشق - سورية
9. حازم القرطاجني، (1966)، **منهاج البلغاء وسراج الأباء**، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس
10. حسن جاد، (1979)، البلاغة **النبوية وأثرها في النفوس**، مجلة "البحوث الإسلامية"، عدد:5، السعودية
11. عبد الله الركيبي، (1978)، **تطور النثر الجزائري الحديث**، الدار العربية للكتاب
12. عبد القاهر الجرجاني، (1945)، **أسرار البلاغة**، تح: هـ. ريتر، استانبول - تركيا
13. عبد القاهر الجرجاني، (2001)، **دلائل الإعجاز**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت - لبنان
14. عبد الله خضر حمد، (2017)، **العدول في الجملة القرآنية**، دار القلم، بيروت - لبنان

15. عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، (2002)، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان
16. محمد مصايف، (1983)، **النثر الجزائري الحديث**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
17. محمد مفتاح، (1994)، **التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)**، المركز الثقافي العربين بيروت لبنان، ط1
18. محمد أحمد أبو الفرج، (1966)، **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، دار النهضة العربية
19. مجدي وهبة وكامل مهندس، (1984)، **معجم المصطلحات في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ط2
20. وحدة معهد اللغة العربية للبحوث والمناهج في جامعة أم القرى، (1981)، **قائمة مكة للمفردات الشائعة**، مطابع الصفا، مكة - المملكة العربية السعودية

- **مقال في مجلة:**

1. محمد البشير الإبراهيمي، (1934)، **نموذج لخطبة مرتجلة**، جريدة "الشهاب"، ج: 9، مج: 10
2. محمد كنوني، (1999)، **التوازي ولغة الشعر**، مجلة "فكر ونقد"، عدد: 78
3. مشهور حسن آل سلمان، **الشيخ محمد البشير الإبراهيمي**،مجلة "الأصالة"، العدد: 1

المرجع باللغة الأجنبية:

Danielle McNamara and Arthur C. Graesser, (March 24, 2014), **Automated Evaluation of Text and Discourse with Coh-Metrix**, Cambridge University Press, pp: 96-112